



صورة للمسجد الحرام والكعبة المشرفة عام 1880

فتح مكة

إعداد: رياض عواد

شهر رمضان المبارك هو شهر الفتوح والأحداث الجسام في تاريخنا الإسلامي.. وهذه الحلقات نحاول خلالها إبراز أهم الأحداث التي وقعت في هذا الشهر الكريم تلك الأحداث كثيرة ومتنوعة، ما بين معارك إسلامية فاصلة وفتوح وأحداث إسلامية مهمة تتعلق بمولد أو وفاة أعلام المسلمين، فنعيش خلال الحلقات القادمة مع بعض تلك الأحداث والفتوح لنقتفي آثارها ونتمسك خطاها.

فتح مكة (يُسمى أيضاً الفتح العظيم) غزوة وقعت في العشرين من رمضان في العام الثامن من الهجرة (الموافق 10 يناير 630م) استطاع المسلمون من خلالها فتح مدينة مكة وضمتها إلى دولتهم الإسلامية. وسبب الغزوة هو أن قبيلة قريش انتهكت الهدنة التي كانت بينها وبين المسلمين، بإيعانها لحلفائها من بني الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (تدبيراً لبطن منهم يُقال لهم «بنو نفاثة») في الإغارة على قبيلة خزاعة، الذين هم حلفاء المسلمين، فنقضت بذلك عهداً مع المسلمين الذي سمي بصلح الحديبية. ورداً على ذلك، جهز الرسول محمد جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل لفتح مكة، وتحرك الجيش حتى وصل مكة، فدخلها مسلماً بدون قتال، إلا ما كان من جهة القائد المسلم خالد بن الوليد، إذ حاول بعض رجال قريش بقيادة عكرمة بن أبي جهل التصدي للمسلمين، فقاتلهم خالد وقتل منهم اثني عشر رجلاً، وفر الباقيون منهم، وقتل من المسلمين رجلان اثنان. ولمّا نزل الرسول محمد بمكة واضمان الناس، جاء الكعبة فطاف بها، وجعل يطعن الأصنام التي كانت حولها بقوس كان معه، ويقول: «جاء الحقّ وَرَمَقَ الْبَاطِلَ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً»، و«جاء الحقّ وما يُبدئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ»، و«جاء الكعبة الصور والتمانييل فامر بها ففكست. ولما حانت الصلاة، أمر الرسول محمد بلال بن رباح أن يصعد فيؤذن من على الكعبة، فصعد بلال وأذن. كان من نتائج فتح مكة اعتناق كثير من أهلها دين الإسلام، ومنهم سيد قريش وكنانة أبو سفيان بن حرب، وزوجته هند بنت عتبة، وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو قحافة والد أبي بكر الصديق، وغيرهم.

صلح الحديبية

في شهر ذي القعدة سنة 6هـ الموافق 628م، أمر الرسول محمد أتباعه باتخاذ الاستعدادات لأداء العمرة في مكة، بعد أن رأى في منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وطافوا واعتبروا، فخرج من المدينة المنورة يوم الاثنين 6 غرة ذي القعدة سنة 6هـ في 1400 أو 1500 من المسلمين، ولم يخرج بسلاح إلا سلاح المسافر (السيوف في القرب)، وساق معه الهدي سبعين بدنة. ولما علمت قريش بذلك، قررت منعه عن الكعبة، فأرسلوا متني فارس بقيادة خالد بن الوليد للطريق الرئيسي إلى مكة، لكن الرسول محمد اتخذ طريقاً أكثر صعوبة لتفادي مواجهتهم، حتى وصل إلى الحديبية على بعد 14,5 كيلومتراً (تسعة أميال) من مكة، فجاهه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة فكلّموه وسألوه عما جاء به، فقال لهم الرسول محمد: «إنما لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شاءوا ماددناهم، ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ففعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لا قتالهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو ليغتنن الله أمره.

فتح مكة (يُسمى أيضاً الفتح العظيم) غزوة وقعت في العشرين من رمضان في العام الثامن من الهجرة (الموافق 10 يناير 630م) استطاع المسلمون من خلالها فتح مدينة مكة وضمتها إلى دولتهم الإسلامية. وسبب الغزوة هو أن قبيلة قريش انتهكت الهدنة التي كانت بينها وبين المسلمين، بإيعانها لحلفائها من بني الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (تدبيراً لبطن منهم يُقال لهم «بنو نفاثة») في الإغارة على قبيلة خزاعة، الذين هم حلفاء المسلمين، فنقضت بذلك عهداً مع المسلمين الذي سمي بصلح الحديبية. ورداً على ذلك، جهز الرسول محمد جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل لفتح مكة، وتحرك الجيش حتى وصل مكة، فدخلها مسلماً بدون قتال، إلا ما كان من جهة القائد المسلم خالد بن الوليد، إذ حاول بعض رجال قريش بقيادة عكرمة بن أبي جهل التصدي للمسلمين، فقاتلهم خالد وقتل منهم اثني عشر رجلاً، وفر الباقيون منهم، وقتل من المسلمين رجلان اثنان. ولمّا نزل الرسول محمد بمكة واضمان الناس، جاء الكعبة فطاف بها، وجعل يطعن الأصنام التي كانت حولها بقوس كان معه، ويقول: «جاء الحقّ وَرَمَقَ الْبَاطِلَ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً»، و«جاء الحقّ وما يُبدئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ»، و«جاء الكعبة الصور والتمانييل فامر بها ففكست. ولما حانت الصلاة، أمر الرسول محمد بلال بن رباح أن يصعد فيؤذن من على الكعبة، فصعد بلال وأذن. كان من نتائج فتح مكة اعتناق كثير من أهلها دين الإسلام، ومنهم سيد قريش وكنانة أبو سفيان بن حرب، وزوجته هند بنت عتبة، وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو قحافة والد أبي بكر الصديق، وغيرهم.

ثم أرسل الرسول محمد عثمان بن عفان إلى قريش ليفاوضهم، فتأخر في مكة حتى سرت إشاعة أنه قد قتل، فقرر الرسول أخذ البيعة من المسلمين على أن لا يفرّوا، فيما عرف ببيعة الرضوان، فلم يتخلف عن هذه البيعة أحد إلا جده بن قيس، ونزلت في ذلك آيات من القرآن: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**. [13] وخلال ذلك وصلت أنباء عن سلامة عثمان، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لتوقيع اتفاق مصالحة عرف بصلح الحديبية، ونصت بنوده على عدم أداء المسلمين للعمرة ذلك العام على أن يعودوا للأدائها العام التالي، كما نصت على أن يرّد المسلمون أي شخص يذهب إليهم من مكة بدون إذن، في حين لا ترد قريش من يذهب إليهم من المدينة. واتفقوا أن تيسر هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات، وبإمكان أي قبيلة أخرى الدخول في حلف أحد الطرفين لتسري عليهم المعاهدة. فدخلت قبيلة خزاعة في حلف الرسول محمد، ودخل بنو الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة في حلف قريش، [8] ولما فرغوا من



المسلمون يُحطمون الأوثان والأصنام

بأخي لتبابعه على الهجرة»، فقال الرسول: «ذهب أهل الهجرة بما فيها»، فقال: «على أي شيء تبابعه؟»، قال: «أبابعه على الإسلام والإيمان والجهاد». ولما فرغ الرسول محمد من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء، وهو على الصفا، وعمر قاعد أسفل منه، يبابعهن بأمره، ويبلغهن عنه، فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متتكرة خوفاً من الرسول أن يعرّفها، لما صنعت بعمه حمزة، فقال الرسول محمد: «أبابعنك على ألا تشركن بالله شيئاً»، فبابع عمر النساء على ألا يشركن بالله شيئاً، فقال الرسول محمد: «ولا تسرقن»، فقالت هند: «إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن أنا أصبت من ماله هنت؟»، فقال أبو سفيان: «وما أصبت فهو لك حلال»، فضحك الرسول وعرفها، فقال: «وأنتك لهند»، قالت: «نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، عفا الله عنك»، فقال: «ولا يزينن»، فقالت: «أو تزني الحرة؟»، فقال: «ولا يقتلن أولادهن»، فقالت: «ربينا هم ونساء وأحراراً وموالي في الإسلام طواعية واختياراً، وبدخول مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في الإسلام أفواجا، وبابيع الرسول الناس جميعاً والصحار والنساء، والكبار والصغار، وبدأ بمبايعة الرجال، فقد جلس لهم على الصفا، فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا وجاء مجاشع بن مسعود بأخيه مجالد بعد يوم الفتح فقال للرسول محمد: «جئتكم في غرور»

الرسول محمد عندما أصبح في مركز القوة في العدد والعتاد، ونجحت خطة الرسول: فلم يستطع المشركون المقاومة، ولا الصمود أمام الجيش الزاحف إلى أم القرى، فاحتل كل قبيل منطقتة التي وجه إليها، في سلم واستسلام، إلا ما كان من جهاتها الأربع في آن واحد، ولم تلق تلك القوات مقاومة تقريباً، وكان في دخول جيش المسلمين من الجهات الأربع ضربة قاضية لجنود قريش، حيث عجزت عن التجمع، وضاعت منها فرصة المقاومة، وهذا من التدابير الحربية الحكيمة التي لجأ إليها أصيب منهم، وبمناصرة قريش لبني الدئل بن بكر عليهم، ووقف عمرو بن سالم على الرسول وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال **دخول المسلمين مكة** دخلت قوات المسلمين مكة

أصيب منهم، وبمناصرة قريش لبني الدئل بن بكر عليهم، ووقف عمرو بن سالم على الرسول وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال **دخول المسلمين مكة** دخلت قوات المسلمين مكة



رسم يصور المسلمين بعد دخولهم مكة وبدأوا بتكسير الأصنام